

نزع فتيل الأزمة عند باب الرحمة في القدس

إحاطة حول الشّرق الاوسط رقم 67
بيروت/بروكسل، 3 نيسان/أبريل 2019. ترجمة من الإنكليزية

ما الجديد؟ في الحرم الشريف (جبل الهيكل) في القدس، تتصارع السلطات الإسرائيلية والمصلين الفلسطينيين على السيطرة على بناء مجاور لباب الرحمة. أغلقت السلطات الإسرائيلية البناء منذ العام 2003، لكن الفلسطينيين استعادوا السيطرة عليه بالقوة في شباط/فبراير، وحولوه إلى باحة للصلاة. تسعى إسرائيل الآن إلى عكس هذا التغيير.

ما أهمية ذلك؟ في الماضي، كانت حوادث ثانوية في الحرم الشريف تتسبب في عمليات تصعيد كبرى، خصوصاً عندما تسود تقلبات نسبية الوضع في قطاع غزة والضفة الغربية. النزاع على باب الرحمة، الذي يحمل رمزية كبيرة، فرض ضغطاً كبيراً على العلاقات الإسرائيلية بالأردن، المكلف بالوصاية على الحرم الشريف.

ما الذي ينبغي فعله؟ بعد إجراء إصلاحات طال أمد انتظارها، ينبغي على إسرائيل السماح بإعادة فتح المبنى والسماح للوقف، الذي يدير الحرم الشريف تحت الوصاية الأردنية، باستخدام المبنى بالشكل الذي تراه مناسباً، كأن يكون معهداً تعليمياً إسلامياً أو مصلى، من أجل المساعدة في ترميم العلاقات الإسرائيلية – الأردنية وتخفيف مخاطر اندلاع العنف.

I. لمحة عامة

لقد أدت الصراعات في الساحة المعروفة لليهود باسم جبل الهيكل وللمسلمين باسم الحرم القدسي الشريف أو مجمع المسجد الأقصى إلى وقوع بعض أكثر الأحداث دموية في الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، بما في ذلك أعمال الشغب التي اندلعت في العام 2000 والتي شكلت الشرارة التي أطلقت الانتفاضة الثانية. في الأسابيع الأخيرة، اندلعت من جديد التوترات في هذا الموقع الصغير (0.15 كم^2 أو 37 هكتاراً)، والمشار إليه لاحقاً باسم الحرم القدسي الشريف.[1] تركز الصراع هذه المرة على بناء يقع على الحافة الشرقية للحرم، ويجاور مباشرة الباب الخارجي للمجمع والمسمى باب الرحمة.[2]

[1] للحرم القدسي الشريف أهمية كبرى في الإسلام. وفي التراث اليهودي، يحتوي على حجر أساس خلق العالم، الذي كان إبراهيم على وشك التضحية بابنه إسحق عليه؛ وهو المكان الذي قام عليهما الهيكلان الأول والثاني (اللذات تدمرا في العام 586 قبل الميلاد و70 ميلادية على التوالي.) يتمثل الجزء الوحيد المتبقي من المجمع القديم في الجدار الاستنادي، المعروف في الديانة اليهودية بـ "كوتيل"، أو الحائط الغربي/حائط المبكى (للبكاء ورثاء دمار الهيكل الذي حدث هناك). في التراث الإسلامي كان الأقصى (الأبعد) مقصد النبي محمد في رحلته الليلية من مكة على ظهر حصانه المجنح (البراق) – ولذلك يسمى الحائط الذي ربط الحصان به "حائط البراق". ومن نفس حجر الأساس في الحرم الشريف، انطلقت رحلة النبي محمد إلى السماء ومن ثم إلى مكة. في الإسلام، يتمتع الحرم كله، وليس المبنيين

في العام 2003، وفي أوج الانتفاضة الثانية، استصدرت إسرائيل أمراً قضائياً يحظر الوصول إلى مبنى باب الرحمة، متهمة لجنة التراث الإسلامي، التي كانت تستعمله كمكتب، بالانخراط في أنشطة إرهابية.[3] علاوة على ذلك، فإن المسؤولين الإسرائيليين يعتبرون أن البناء الواقع إلى أقصى جنوب الحرم الشريف هو فقط المسجد الأقصى. وبالتالي، فإنهم ينظرون إلى المباني الأخرى داخل الموقع المقدس بوصفها أجزاء من جبل الهيكل ولا تحظى بقدسية خاصة عند المسلمين. الفلسطينيون أدانوا القرار الأحادي بإغلاق المبنى، بل أدانوا مجرد مشاركة إسرائيل في إدارة الحرم الشريف لأنهم يعتبرون كامل منطقة المجمع جزءاً من المسجد الأقصى. إضافة إلى ذلك، وككل القدس الشرقية، فإنها أرض محتلة طبقاً للقانون الدولي. المملكة الأردنية الهاشمية، التي تقول إنها تضطلع بالوصاية الإسلامية على الموقع والتي توصلت إلى اتفاق سلام مع إسرائيل يمنحها "دوراً خاصاً" في إدارة الموقع، ترى في إغلاق إسرائيل للمبنى انتهاكاً لما يُعرف بالوضع الراهن.

ويشكل الوضع الراهن جملة من القواعد غير المكتوبة، المستمدة من مراسيم عثمانية تتعلق بإدارة المواقع المقدسة في القدس وبيت لحم تم توسيعها لتشمل الحرم الشريف في القدس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. منذ العام 1967، عندما بدأت إسرائيل احتلالها للضفة الغربية التي تضم القدس الشرقية والحرم الشريف، أعلن جميع رؤساء وزراء إسرائيل وملوك الأردن التزامهم بالوضع الراهن. غير أن كل طرف يفسر هذه القواعد بشكل مختلف، خصوصاً عندما تتعلق هذه القواعد بقضايا خلافية مثل الوصول إلى هذه المواقع، وصلاة غير المسلمين، والتنقيبات الأثرية والأشغال العامة.[4]

بداية من شباط/فبراير من هذا العام، سعى الوقف الإسلامي الذي يدير المسجد الأقصى إضافة إلى عدة مدارس ومؤسسات إسلامية في سائر أنحاء القدس، إلى استعادة الوصول إلى بناء باب الرحمة، ما أطلق صراع قوى بين السلطات الإسرائيلية والمصلين الفلسطينيين.

II. الاندفاعة الأولى

في 14 شباط/فبراير، عقد مجلس الوقف، وهو الهيئة القيادية المحلية للأوقاف في القدس، اجتماعه الأول منذ وسّع الأردن تشكيلته قبل ذلك بأيام. اختتم رئيس الوقف الاجتماع الذي حضره مسؤولان أردنيان رفيعان، بإعلان أمله في أن يكون المجلس الجديد نموذجاً لتعزيز الرباط (وهو الالتزام الإسلامي للدفاع عن الأماكن الإسلامية المقدسة) في المسجد الأقصى، وأداة لمعالجة التهديدات التي يواجهها الوقف الإسلامي والهوية التاريخية للمدينة. ثم مضى أعضاء المجلس لإقامة صلاة ظهر ذلك اليوم داخل بناء باب الرحمة، الذي قيَّدت إسرائيل الوصول إليه لأكثر من عقد من الزمن.

ردت الحكومة الإسرائيلية بإغلاق الباب الواقع في أعلى الدرج المؤدي إلى المبنى، فمنعت بذلك الوصول إليه. على مدى الأيام القليلة التالية، قام المتظاهرون الفلسطينيون بشكل متكرر بكسر السلاسل والأقفال الموضوعة على الباب. في 20 – 21 شباط/فبراير، بدا أن الشرطة الإسرائيلية والوقف توصلا إلى تسوية يظل البناء بموجبها مغلقاً أمام المصلين، وسمحت الشرطة للوقف بوضع قفله الخاص على الباب. إلا أن المتظاهرين الفلسطينيين كسروا هذا القفل أيضاً.

اليوم التالي كان يوم جمعة، وهو اليوم الذي يجتمع فيه عشرات آلاف المسلمين الفلسطينيين بشكل روتيني في مجمع المسجد الأقصى لأداء صلاة الظهر. في الليلة السابقة، اعتقلت الشرطة الإسرائيلية استباقياً 60 شخصاً من سكان القدس الشرقية قد يثيرون، على ما زعمت، الاضطرابات خلال صلاة الجمعة. إلا أن الاعتقالات، التي تمت دون وجود أوامر اعتقال أو توجيه تهم، لم تحقق النتيجة التي توختها إسرائيل. يوم الجمعة، اندفع المصلون الفلسطينيون في الحرم عبر الباب الواقع في أعلى الدرج وقام مسؤول في الوقف

الرئيسيين فيه (المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، بقدسية المسجد، وهو المكان الأقدس بالنسبة للمسلمين، بعد مكة والمدينة.

[2] انظر الملحق 1: خريطة الحرم الشريف. البوابة الخارجية مغلقة منذ قرون. Melanie Holcomb, "The Closed Gate", in Barbara Drake Boehm and Melanie Holcomb (eds.), *Jerusalem 1000-1400: Every People Under Heaven* (New Haven, 2016), pp. 129-130.

[3] لجنة التراث الإسلامي لجنة غير ربحية تعمل على حماية وتعزيز الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي في القدس، بما في ذلك المسجد الأقصى.

[4] للمزيد من التفاصيل، انظر تقرير مجموعة الأزمات رقم 159، **حالة الوضع الراهن في الحرم القدسي الشريف**، 30 حزيران/يونيو 2015.

بفتح أبواب المبنى. تدفق المصلون إلى الباحة الرئيسية في المبنى وأقاموا صلاة شارك فيها عدد كبير من الناس داخل المبنى وفي باحاته للمرة الأولى منذ ستة عشر عاماً.

منذ ذلك الحين، حصلت إسرائيل على أمر من المحكمة يسمح للشرطة بإعادة إغلاق المبنى. إلا أن مسؤولاً إسرائيلياً جادل بأنه سيكون من المستحيل فرض الإغلاق دون المخاطرة بوقوع حمام دم. وبرأيه (وهو رأي أقلية)، فإن استبدال الأقفال والسلاسل غير مجدٍ بالنظر إلى أن آلاف المصلين الذين يترددون على الموقع أيام الجمعة سينزعونها، ووضع العشرات من رجال الشرطة في الموقع لفرض الإغلاق سيتسبب في نشوب عنف خطير.[5]

III. المضامين السياسية للأزمة

لباب الرحمة أهمية دينية خاصة. طبقاً للتراث اليهودي، فإن المسيح سيدخل منطقة الهيكل من هذا الباب. ويربط التراث الإسلامي الموقع بآية قرآنية تتحدث عن جدار فيه باب يفصل رحمة السماء عن عذاب جهنم. المسيحيون بدورهم يشيرون إليه بوصفه بالباب الذهبي، ويعتقدون بشكل عام بأن المسيح دخل القدس من هذا الباب.

يخشى المسلمون في فلسطين وخارجها من أن إسرائيل تريد تحويل بناء باب الرحمة إلى كنيس.[6] تستند هذه الهواجس جزئياً إلى رسالة كتبها كبير حاخامات إسرائيل، مردخاي إلياهو في العام 1985 يشير فيها إلى إمكانية بناء كنيس على جبل الهيكل "فوق سطح بوابتي الرحمة المزدوجتين أو إلى الشمال منهما".[7] كما أنهم قلقون بشأن الأنشطة الدينية لنشطاء جبل الهيكل (الذين يدعون لإقامة الصلاة اليهودية في الحرم الشريف، وأيضاً فرض السيادة الإسرائيلية عليه) الذين يتبعون عند زيارتهم الموقع مساراً محاذياً لمبنى باب الرحمة ويتوقفون عند زاوية باحات المبنى لقراءة التوراة.[8]

لقد أضافت المقاربة المهادنة على نحو متزايد للشرطة الإسرائيلية حيال نشطاء الهيكل هؤلاء إلى الشعور بأن الوضع ينذر بالخطر. في آب/أغسطس 2003، أعادت إسرائيل بشكل أحادي فتح الموقع أمام غير المسلمين، الذين كانت إسرائيل قد منعت دخولهم منذ أطلق الفلسطينيون الانتفاضة الثانية في أيلول/سبتمبر 2000.[9] لكن الزوار من اليهود المتدينين كان يرافقهم حراس الوقف والشرطة الإسرائيلية. وكان الحراس، عندما يشاهدون حالات إقامة صلاة يهودية، يشتكون لضباط الشرطة الذين يقومون عندها بإخراج الزوار من الموقع لانتهاكهم الحظر على صلاة غير المسلمين، الذي يشكل أحد مكونات 'الوضع الراهن'. لكن

[5] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إسرائيلي، القدس، 26 شباط/فبراير 2019.

[6] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع فلسطينيين مقدسيين، القدس، شباط/فبراير 2019.

[7] جعل الحاخام إلياهو ذلك مشروطاً بـ "السيطرة على الدخول والخروج، بحيث لا يتمكن [اليهود] من تجاوز المناطق المسموح بها [طبقاً للقانون اليهودي]". Rabbi Yizhak Shilat, "Arguing, but without misstating the truth", *Arutz 7*, 2 January 2019. كمعاون لوزير الشؤون الدينية، قاد عضو الكنيست إيلي بن دهان (2013-2015) من حزب البيت اليهودي عملية صياغة أنظمة الصلاة في جبل الهيكل. طبقاً ليعقوب هايمن، رئيس مؤسسة جبل الهيكل وتراث الهيكل، فإن باب الرحمة كان أحد المناطق المحددة التي درسها بن دهان عندما كان يحاول تحديد الموقع في المجمع للصلاة اليهودية. Yosef Arenfeld, "A Struggle without Mercy", *Artuz 7* (Hebrew), 28 February 2019. لقد أطلقت جمعية إيشاي لتأسيس الكُنس على جبل الهيكل، والتي كان أحد مؤسسيها الحاخام شموئيل إلياهو، ابن الحاخام مردخاي إلياهو، حملة لتأمين المزيد من الدعم الشعبي والحاخامي لقضية تأسيس الكُنس في الحرم الشريف، في ضوء أزمة باب الرحمة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع حاخام قومي متدين، القدس، 20 آذار/مارس 2019.

[8] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع فلسطينيين مقدسيين، القدس، شباط/فبراير 2019. النشاط اليهودي عند مقبرة باب الرحمة، خارج الحرم الشريف ووراء جداره الشرقي تغذي أيضاً مخاوف الفلسطينيين. Nazmi Jubeh, "The Bab al-Rahmah Cemetery: Israeli Encroachment Continues Unabated", *Journal of Palestine Studies*, vol. 48, no. 1 (Autumn 2018), pp. 88-103.

[9] على عكس الواقع السائد منذ آب/أغسطس 2003، كانت الشرطة الإسرائيلية قبل العام 2000 تنتشر خارج المجمع. وكان الوقف يبيع بطاقات الدخول لغير المسلمين الراغبين بدخول قبة الصخرة، والمسجد القبلي والمتحف الإسلامي. وكان وصول غير المسلمين يتطلب التنسيق مع مجلس الوقف المدعوم والمعين من قبل الأردن. كان بوسع غير المسلمين دخول المعابد في الموقع بعد شراء البطاقات. كما كان بوسعهم الدخول أيام السبت واستخدام المساعدات البصرية التي تظهر المعابد اليهودية القديمة. بشكل عام، كان للموقع سمة أكثر سياحية من السمة السائدة اليوم، حيث يعطي الشعور بأنه منطقة صراع. المناخ الأكثر هدوءاً كان يعني أن اليهود المتدينين الذين كانوا يدخلون الموقع كانوا يتعرضون لقدر أقل من الرقابة الوثيقة سواء من قبل سلطات الوقف أو الشرطة الإسرائيلية.

خلال العامين الماضيين تقريباً، كانت الشرطة الإسرائيلية تبقي حراس الوقف بعيدين، وسمحت بإقامة الصلاة اليهودية الفردية الصامتة. سعى حراس الوقف للحد من هذه الممارسة من خلال صدامات متكررة مع الشرطة الإسرائيلية، لكن دون نجاح يذكر.[10]

لقد ألحقت عدم قدرة الوقف على منع هذه الأنشطة الضرر بمصداقيته بوصفه مدافعاً عن الموقع. أحد القادة المخضرمين للفرع الجنوبي للحركة الإسلامية في إسرائيل اشتكى قائلاً: "لقد بات مشايخ الوقف ضعفاء جداً هذه الأيام. يشعر الناس بأنهم غير قادرين على حماية المسجد. قبل عشرين عاماً، كان الأشخاص الذين يزورون المسجد يقبلون أيديهم. اليوم يتطوع الشباب لحماية الأقصى بدلاً منهم، لكنهم لا يمتلكون استراتيجية أو رؤية شاملة، بل كل ما يملكونه هو حجارة ومفرقعات".[11]

رغم أن الحكومة الإسرائيلية الحالية لم تعطِ أي مؤشر على أنها تعتزم القيام أحادياً بناء كنيس في الموقع، فإن القادة الإسرائيليين طرحوا الفكرة خلال مفاوضات الوضع النهائي مع نظرائهم الفلسطينيين.[12] يتمثل أحد الهواجس بالنسبة للقادة الإسرائيليين في أن السماح للوقف بتحويل المبنى إلى مصلّى ذو مكانة مميزة يشكل حكماً مسبقاً على مفاوضات الوضع النهائي حيال هذه المسألة.[13] وزير الأمن العام الإسرائيلي جلعاد أردان تعهد بأنه "لن يكون هناك مسجد جديد على جبل الهيكل".[14] على الجانب الفلسطيني، لم يعبر أي زعيم فلسطيني عن الاستعداد للسماح ببناء كنيس في الموقع، الذي يعتبرونه كله مسجداً.

ملك الأردن، بوصفه الوصي على المواقع الإسلامية في القدس، يعتبر النزاعات في الموقع ضارة بسلطته؛ فصور عناصر الشرطة الإسرائيلية الذين يتعدون على المكان ويعتقلون المصلين المسلمين في مجمع الأقصى، كما حدث بتواتر أكبر على مدى العامين الماضيين، تجعل الأمر يبدو كما لو أن الملك أخفق في الدفاع عن مصالح المسلمين.[15] يفاقم هذا القلق الأزمات المتعددة التي يواجهها الأردن، إقليمياً (عبر تدفق اللاجئين السوريين، والاعتراف الأميركي بالقدس عاصمة لإسرائيل)، ومحلياً (ارتفاع الدين العام والبطالة، مصحوبة باحتجاجات حول ارتفاع تكاليف المعيشة والإصلاحات الضريبية) إن الظهور بمظهر المتحدي للسياسات الإسرائيلية في الأقصى يعزز شعبية الملك في وقت هو في أمس الحاجة إلى هذه الشعبية.[16]

كما تحضّر المملكة لتحاشي عدة مخاطر تخشى أن خطة إدارة ترامب للسلام قد تطرحها، إذا تحققت. وهذه تشمل، أولاً، احتمال الدعوة إلى دور سعودي محوري في إدارة الحرم الشريف (على حساب الأردن جزئياً أو كلياً)، وثانياً، احتمال دعوة الولايات المتحدة لوضع المسجد الأقصى تحت السيادة الإسرائيلية.[17] على

---

[10] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد نشطاء الهيكل، القدس، 25 شباط/فبراير 2019. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد حراس الوقف، القدس، 14 شباط/فبراير 2019.

[11] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، كانون الثاني/يناير 2019.

[12] مستشار كبير سابق لرئيس الوزراء إيهود باراك كتب: "اقترح باراك بناء كنيس في مكان ما على الحدود الشمالية الشرقية للجبل". Yossi Alpher, "Temple Mount/Haram al Sharif", Bitterlemons, 5 June 2002. أثار المقترح غضب الفلسطينيين. "في المداولات بشأن القدس، تبنى باراك، ووزراؤه، وأعضاء وفده خطاب أكثر اليهود الأصوليين تطرفاً. فجأة بدأ العلمانيون يتحدثون بلغة يتجنبها حتى بعض الحاخامات الإسرائيليين. وفجأة، أصبح السماح لليهود بالصلاة في الحرم الشريف مطلباً إسرائيلياً محورياً. الأمر الأكثر خطورة هو أن المسؤولين الأميركيين تبنوا ذلك الموقف مباشرة، دون أن يعوا حقيقة أنهم كانوا يلعبون بمتفجرات يمكن أن تشعل الشرق الأوسط والعالم الإسلامي. كما أنهم لم يحاولوا فهم أنهم يضيفون بُعداً دينياً للصراع بطريقة تجعل اشتعال الوضع أمراً محتوماً". Akram Haniyeh, "The Camp David Papers", *Journal of Palestine Studies*, vol. 30. no. 2 (Winter 2001), pp. 75-97.

[13] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مفاوض إسرائيلي سابق، القدس، 28 شباط/فبراير 2019.

[14] Yasser Okbi, "Israel Expected to Shut Mosque at Golden Gate This Week", *Ma'ariv*, 10 March 2019.

[15] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إسرائيلي، القدس، 3 آذار/مارس 2019. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 28 شباط/فبراير 2019.

[16] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 28 شباط/فبراير 2019.

[17] رغم أن القادة الإسرائيليين يتداولون هذه الفكرة، لا يبدو أن هناك أساساً لمخاوف عمان في هذا الصدد. زعيم المعارضة السابق إسحاق هرتزوغ نشر مقالة في صحيفة إيلاف السعودية يدعو فيها إلى منح السعودية "دوراً محورياً" في إدارة الموقع. Ben Lynfield, "Saudis in Jerusalem: Opposition Leader Calls for Role for Kingdom at Al-Aqsa", *Jerusalem Post*, 10 January 2018. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع خبير فلسطيني مقدسي يتمتع بصلات قوية مع القصر، 6 آذار/مارس 2019.

المدى القصير، تخشى الحكومة الأردنية من أن منظمة التحرير الفلسطينية، وكي تظهر معارضة الفلسطينيين لخطة السلام الأمريكية، ستثير التوترات في الأقصى.[18]

كي يتمكن الأردن من إدارة أي من هذه التوترات في الموقع وتحسين صورته كمدافع عن الأقصى، أعاد تشكيل مجلس الوقف في شباط/فبراير 2019، فوسع عضويته من 11 عضواً إلى 18 لكي يحدث بضعة تعديلات استراتيجية.[19] بات مجلس الوقف الآن أكثر استقلالاً بعد إضافة قادة مقدسيين غير محسوبين حصرياً على الحكومة الأردنية، وللمرة الأولى، وزير شؤون القدس في السلطة الفلسطينية، وهو أيضاً عضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. كان الأردن في الماضي يستبعد مثل هذه الشخصيات في تنافسه على النفوذ على الأقصى مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهو التنافس الذي كان واضحاً في الإحساس بالضغينة الذي ساد العلاقة بين ملك الأردن، الملك حسين، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات خلال تسعينيات القرن العشرين.

أما الآن، فإن الأردن لا يمتلك بدائل تذكر سوى التعاون مع الفلسطينيين. العلاقات الإسرائيلية الأردنية في مستوى متدن. منذ الاجتماع الأخير في 18 حزيران/يونيو 2018، وعلى خلفية منح رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو استقبال الأبطال لحرس السفارة الإسرائيلية الذين قتلوا أردنيين في عمان في تموز/يوليو 2017، لم يرد الملك على الاتصالات الهاتفية لرئيس الوزراء.[20] عمان تلوم إسرائيل على تأجيل مشروع نقل المياه بين البحر الأحمر والبحر الميت إلى موعد غير محدد بعد توقيعه، إضافة إلى الدفع بمشروع مطار رامون قرب إيلات دون التنسيق معه. وينظر القصر إلى ابتعاد الليكود عن دعم إقامة دولة فلسطينية، وازدياد عدد أعضاء الكنيست من حزب الليكود الذين يعبرون عن دعمهم لصيغة "الأردن هو فلسطين"، بوصفها تهديدات وجودية.[21]

كما تدهورت المواقف الإسرائيلية حيال الأردن بشكل مماثل؛ حيث فسر المسؤولون الإسرائيليون قرار الملك بعدم تجديد ترتيب تأجير الأراضي (في منطقتين حدوديتين في وادي الأردن في الشمال وفي منطقة عربة الجنوبية)، اللتان كانتا جزءاً من اتفاق السلام للعام 1994، بوصفه قراراً اعتباطياً معادياً اتخذ لإرضاء شرائح أردنية محلية متشددة على حساب شريك الأردن في السلام.[22]

الفلسطينيون في القدس، من جهتهم، كانوا قد طالبوا الأردن بإضافة ممثليهم إلى عضوية المجلس كوسيلة للحصول على الدعم السياسي الذي لا يحظون بالكثير منه من السلطة الفلسطينية أو منظمة التحرير الفلسطينية. منذ العام 2001 عندما أغلقت إسرائيل بيت الشرق – مقر منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة، بحكم الأمر الواقع حيث كانت تجرى أنشطة اجتماعية وثقافية – حُرم الزعماء الفلسطينيون المقدسيون من الدعم السياسي. وإسرائيل تتحوط بيقظة وحذر لأي وجود أو نشاط للسلطة الفلسطينية في القدس. إن تسمية زعماء مقدسيين في مجلس الوقف يعطي هؤلاء درجة من السلطة السياسية وقناة مفتوحة مع المسؤولين الأردنيين.

من المحتمل أن يعمل المجلس الجديد بوصفه قيادة سياسية لفلسطينيي القدس، وأن يتخذ خطوات لمعالجة مشكلات تتجاوز إدارة الأقصى، مثل الجريمة وغياب القانون في القدس الشرقية. يضم المجلس الموسع الآن المشايخ الأربعة البارزين في القدس الذين وقفوا في طليعة الاحتجاجات الكبيرة التي جرت في تموز/يوليو 2017 ضد تركيب إسرائيل لبوابات إلكترونية ـ مغنطيسية في الحرم الشريف. يرى بعض فلسطينيي القدس في إضافة الشيخ عكرمة صبري، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الممول من تركيا، والذي يحظى بالاحترام على نطاق واسع، على أنه يمنح صوتاً للرئيس التركي رجب طيب أردوغان في مجلس الوقف.[23] وربما لهذا السبب فإن الدبلوماسيين الأتراك يتحدثون بشكل إيجابي عن الدور الحالي للأردن وعن المجلس بتشكيلته الجديدة.[24]

كما سبقت الإشارة، فإن توسيع المجلس وفر للأردن فرصة لإضافة عدة قادة حاليين وسابقين لمنظمة التحرير الفلسطينية، والسلطة الفلسطينية وقيادة فتح، بمن فيهم عدنان الحسيني، عضو اللجنة التنفيذية

[18] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 28 شباط/فبراير 2019.
[19] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 28 شباط/فبراير 2019.
[20] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إسرائيلي، القدس، 3 آذار/مارس 2019. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 28 شباط/فبراير 2019.
[21] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع خبير فلسطيني مقدسي يتمتع بعلاقات قوية مع القصر، 6 آذار/مارس 2019.
[22] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في وزارة الخارجية الإسرائيلية، القدس، 6 آذار/مارس 2019.
[23] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع فلسطينيين مقدسيين، القدس، شباط/فبراير 2019.
[24] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي تركي، 19 شباط/فبراير 2019.

لمنظمة التحرير الفلسطينية ووزير شؤون القدس في السلطة الفلسطينية. يبدو أن الحسابات الكامنة وراء هذه التشكيلة هو أن إضافة مثل هؤلاء الأعضاء سيثني القيادة الفلسطينية في رام الله عن إثارة النزاع في الموقع، على افتراض أنه إذا كان للمؤسسات الوطنية الفلسطينية حصة في إدارة الموقع، سيكون لها مصلحة في المحافظة على الهدوء.

لكن لا ينبغي المبالغة في تقدير أثر إضافة أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية إلى المجلس؛ حيث إن عدد الأعضاء ذوي الصلة بالسلطة الفلسطينية قليل، وجميعهم مقدسيون، وفي عدة حالات معروفون باستقلالهم حيال رام الله. على سبيل المثال، فإن حاتم عبد القادر، ورغم كونه قيادياً رفيع المستوى في فتح، فإنه انتقد رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس علناً في عدة مناسبات ويحظى بالاحترام من قبل مؤيدي فتح وحماس على حد سواء في القدس.[25] أما إذا ما كانت هذه الإضافات إلى مجلس الوقف ستحسن مكانة قادة السلطة الفلسطينية في القدس فهو أمر غير مؤكد؛ فرغم هذه التغييرات، فإن المسؤولين في رام الله الذين يزورون الأماكن المقدسة في المدينة قد يواجهون مصلين يرمونهم بالأحذية (كما حدث مع القيادي في فتح جبريل الرجوب في حزيران/يونيو 2018).

كما أن حقيقة أن عدداً من أعضاء المجلس المقربين من الرئيس عباس يمكن أن يثيروا توترات بين الوقف من جهة وحماس وكذلك الأنصار الفتحاويين لمحمد دحلان، خصم عباس، من جهة أخرى، يقلص هامش المناورة المتاح للوقف. يمكن لخصمي عباس استغلال أي اتفاق يتم التوصل إليه من قبل الوقف لتحميل المسؤولية لعباس عن الدفع إلى التوصل إلى تسوية حول المسجد الأقصى.

إن القرار الأردني بتقاسم مسؤولية الدفاع عن مصالح المسلمين حدت من سيطرته على قرارات مجلس الوقف، لكن فائدة ذلك هي أن الوقف بات أقدر على مواجهة التحركات الإسرائيلية في الموقع وفي أماكن أخرى. لقد شرح مسؤولون بارزون في القصر الملكي الهاشمي علناً أن المجلس بعد إعادة تشكيله "كلف بوضع استراتيجية أولية لمعالجة الظروف الاستثنائية وغير المسبوقة التي تهدد المسجد الأقصى، والوقف الإسلامي والهوية التاريخية للمدينة".[26]

IV. صراع مستمر

مباشرة في أعقاب الأحداث عند باب الرحمة، اتخذت إسرائيل الخطوة غير المعتادة المتمثلة في اعتقال رئيس مجلس الوقف وعدد آخر من كبار مسؤولي الوقف مدعية انتهاكهم لأمر الإغلاق الصادر في العام 2003. في 24 شباط/فبراير، قررت محكمة إسرائيلية أنه لم يعد هناك مبرر قانوني لإغلاق الموقع، لأن أمر الشرطة كان قد انتهى مفعوله في آب/أغسطس 2018.[27]

في 3 آذار/مارس، حظرت إسرائيل على كبار مسؤولي الوقف والنشطاء المسلمين المقدسيين دخول المجمع بأكمله، ولفترات تتراوح بين أسبوع وأربعة أشهر. وكان رد فعل الوقف – الذي تم التعبير عنه من قبل حراس لم يذكروا أسماءهم، لكن مدعومين من عمان ورام الله، والحركة الإسلامية في إسرائيل (الفرع الجنوبي) ومجلس الوقف – دعوة الفلسطينيين المقدسيين إلى إقامة صلوات احتجاجية على نطاق واسع خارج المجمع يوم الجمعة 8 آذار/مارس، في تقليد لتلك التي خرجت منتصرة من أزمة أجهزة الكشف عن الأجسام المعدنية في تموز/يوليو 2017.[28] في يوم الجمعة التالي، 8 آذار/مارس، احتشد المئات من موظفي الوقف والمتظاهرين الفلسطينيين، الذين منعتهم إسرائيل من دخول الحرم الشريف بسبب مشاركتهم في تحدي قيود الوصول التي فرضتها إسرائيل على مبنى باب الرحمة، احتشدوا خارج الحرم الشريف،

---

[25] الأمر الأكثر أهمية هو أن المجلس الموسع مقدسي، وبالتالي فإن مساءلته تأتي في المقام الأول من قبل جمهور القدس الشرقية. طبقاً لفلسطيني مقدسي تربطه علاقات وثيقة بالقصر الملكي الأردني، فإن هذا دفع المجلس أصلاً إلى المحافظة على استقلاليته حتى فيما يتعلق بطلبات عمان. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 12 آذار/مارس 2019.

[26] Daoud Kuttab, "New Aqsa council gives Palestinians greater control in Jerusalem", *Al-Monitor*, 21 February 2019.

[27] "Israeli Police Reopen Temple Mount Holy Site After Clashes", *i24News*, 13 March 2019.

[28] مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد الفرع الجنوبي في الحركة الإسلامية، 6 آذار/مارس 2019. مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية، 6 آذار/مارس 2019، ومقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 6 آذار/مارس 2019. ومقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في الوقف، القدس، 6 آذار/مارس 2019. Nir Hasson, "Waqf Guards Barred From Temple Mount by Israel Call for Mass Protest", *Haaretz*, 6 March 2019.

وصلّوا في الأزقة المؤدية إلى المجمع. فلسطيني مقدسي عبر عن شعور شعبي بقوله: "هذا عقاب جماعي. لا تملك إسرائيل حق منعنا من دخول المسجد".[29]

منذ 8 آذار/مارس، شهد الموقع أحداث عنف طفيفة. في 12 آذار/مارس، رمى فلسطينيان زجاجة مولوتوف على موقع للشرطة على الهضبة العليا للحرم. رداً على ذلك، اعتقلت الشرطة يافعين وأخلت الموقع، وأغلقته حتى صباح اليوم التالي.[30] كما منعت الشرطة الوصول إلى المدينة القديمة عبر باب دمشق (باب العامود) وباب الساهرة (بوابة هيرودس)، اللذان يفضيان إلى الحيين الإسلامي والمسيحي باستثناء سكان المدينة القديمة.[31] في 13 آذار/مارس، أعلن مجلس الوقف قراره الشروع فوراً بأعمال إصلاح باب الرحمة، "دون أي شكل من أشكال التدخل من قبل سلطات الاحتلال"، بينما سيظل مفتوحاً أمام المصلين.[32] لكن في الجمعة التالية، 15 آذار/مارس، خلع المصلون الأبواب المقفلة في المبنى من مفاصلها، في احتجاج على ما يبدو على إغلاق الوقف للمبنى في الليل، متجاهلين مناشدات الشيخ الذي يؤم صلاة الجمعة بضرورة التزام قواعد السلوك اللائق.[33]

صبيحة يوم 17 آذار/مارس، مددت محكمة في القدس أمر الإغلاق لمدة 60 يوماً.[34] يمكن لمجلس الوقف استئناف الحكم، لكن الشرطة الفلسطينية تفرض تنفيذ الإغلاق حالياً. يرى المسؤولون الأردنيون في هذا التدخل القانوني محاولة إسرائيلية لإجبار الوقف للاعتراف بالولاية الإسرائيلية على الموقع المقدس، المحتل طبقاً للقانون الدولي، في انتهاك للموقف المبدئي القديم للوقف، ويرفضون الانخراط مع نظام المحاكم الإسرائيلية بشأن المسألة.[35]

V. المحافظة على الهدوء في الموقع

يقول المسؤولون الإسرائيليون والأردنيون إنهم اتفقوا من حيث المبدأ على معالجة القضايا الإشكالية في الموقع عبر خطة على مراحل تبدأ بإغلاق المبنى لإجراء أعمال الإصلاح وتنتهي بإعادة فتحه أمام الاستخدام المنتظم. إلا أن هناك عدة نقاط عالقة.[36] يذكر أن رئيس الوزراء نتنياهو قرر السماح للوقف بتركيب سقالات على جدران المبنى استعداداً لأعمال الصيانة التي يقودها الوقف (بشكل أساسي لإصلاح السقف المتداعي).[37] لكنه اشترط لإجراء أي عمليات إصلاح من ذلك القبيل التنسيق مع السلطات الإسرائيلية. وطبقاً لنفس التقرير، قرر أيضاً أن إسرائيل ستقترح أن يقدم الأردن خطة صيانة إلى لجنة

[29] مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 8 آذار/مارس 2019.

[30] اعترف الفتيان في المحكمة أنهما رميا قنبلة المولوتوف، وشرحا أنهما استهدفا شرطياً محدداً قالوا إنه كان قد دخل باب الرحمة قبل أسبوع ومشى على سجادات الصلاة وهو ينتعل حذاءه. انتشر مقطع فيديو لشرطي يدخل المبنى بحذائه رغم مطالبة المصلين المسلمين له بخلعه، انتشر على نطاق واسع على الشبكات الاجتماعية الافتراضية الفلسطينية. Nir Hasson, "Teens Suspected of Temple Mount Arson Say They Wanted to Harm Israeli Officer Who Provoked Worshippers", *Haaretz*, 14 March 2019.

[31] المبعوث الأممي إلى الشرق الأوسط نيكولاي ملادينوف، حث كلا الطرفين على "احترام الوضع الراهن" في الحرم الشريف وممارسة ضبط النفس "التحاشي إشعال وضع متوتر أصلاً". عبد الناصر أبو البصل، الوزير الأردني للشؤون الإسلامية والمواقع المقدسة وصف منع المصلين المسلمين من دخول الموقع بأنه "هجوم فاضح على جميع القيم، والحقوق والحريات الدينية" وعلى أنه "هجوم على المسلمين يمس الأمة الإسلامية بأسرها". كلاهما مقتبس في "Firebomb Sparks Unrest at Sensitive Jerusalem Holy Site", Associated Press, 12 March 2019.

[32] Khaled Abu Toameh, "Waqf Says It Will Start Renovating Golden Gate Site", *Jerusalem Post*, 13 March 2019.

[33] Nir Hasson, "Palestinians Tear Door off Temple Mount Site", *Haaretz*, 17 March 2019.

[34] تقرير إخباري لإذاعة الجيش، 17 آذار/مارس 2019.

[35] Daoud Kuttab, "Israel Court Closes Holy Site Flashpoint, Goads Jordan to Respond", *Al-Monitor*, 22 March 2019.

[36] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إسرائيلي، 12 آذار/مارس 2019 ومع مسؤول في الوقف 13 آذار/مارس 2019.

[37] عضو في الفرع الجنوبي للحركة الإسلامية في إسرائيل قال: "لأن ما ينبغي إصلاحه هو السقف، يمكن للوقف تمرير منع الصلاة داخل المبنى خلال فترة الإصلاح، طالما ظلت أبواب المبنى مفتوحة وسُمح بإقامة الصلاة في باحات المبنى خلال تلك الفترة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 27 آذار/مارس 2019.

إسرائيلية – أردنية مشتركة لإدارة الحرم الشريف.[38] لا يلقى هذا الطرح أي قبول في الأردن، الذي يرفض التعاون مع إسرائيل في موضوع الصيانة، لأن ذلك سيمنح الشرعية لدور إسرائيل في المنطقة.[39]

بشكل عام، فإن إسرائيل والوقف على طرفي نقيض فيما يتعلق بمصير مبنى باب الرحمة وبشأن السياسات الناظمة للحرم الشريف بمجمله. وتشمل النتائج المحتملة قيام إسرائيل بإغلاقه بالكامل، وهو أمر من غير المرجح أن يؤدي إلى نتائج ملموسة لأن الفلسطينيين، كما تمت الإشارة أعلاه، مستعدون لحشد آلاف المصلين لمنع حرمانهم من الوصول إلى الموقع؛ وإدارته على أنه مصلى؛ واستخدامه كمكاتب للوقف؛ أو استخدامه كمعهد تعليمي إسلامي.[40] لأكثر من عقد من الزمن والأردن يطالب إسرائيل بالسماح بأن يكون المبنى مقراً لمعهد تعليمي يموله الأردن، هو الكرسي المكتمل لدراسة فكر الإمام الغزالي.[41]

فلسطينيو القدس، الذين يعتبرون أنفسهم مدافعين عن الموقع نيابة عن جميع المسلمين، ويرون في الصراع على الموقع المقدس جزءاً من صراعهم الأوسع مع إسرائيل وخصوصاً احتلالها للضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، ينظرون إلى إعادة فتح المبنى على أنه أكبر انتصار لهم منذ تموز/يوليو 2017، عندما أجبر عشرات آلاف المتظاهرين السلطات الإسرائيلية على إزالة البوابات الإلكترونية – المغناطيسية المركبة حديثاً من مداخل الحرم الشريف. ويرون أن نتنياهو يبدو أكثر حذراً في أعقاب احتجاجات تموز/يوليو 2017، حيث لم يتجرأ على الأمر بإعادة إغلاق المبنى، فيما يبدو خشية الاصطدام مع الآلاف من زوار الموقع في أيام الجمعة.[42] إن النصر الفلسطيني الظاهري في الموقع أغضب شرائح مهمة من القواعد الداعمة لنتنياهو.[43]

ما يدفع إلى التصلب في الموقف التفاوضي الإسرائيلي هو اقتراب الانتخابات الإسرائيلية. لقد انتقده الصهاينة المتدينون لسماحه للوقف، على حد تعبير أحدهم، "أن يقيم مرة أخرى مسجداً جديداً على جبل الهيكل، وهو المسجد الخامس".[44] حاخام صهيوني متدين محبط قال: "نتنياهو انتقد غانتس [قائد كتلة الأزرق والأبيض والخصم الانتخابي الرئيسي لنتنياهو] لاستعداده لتقسيم القدس، بينما يقوم نتنياهو بتقسيم جبل الهيكل!"[45]

---

[38] Daniel Siroti and Ariel Kahane, "Waqf Council Head Arrested on Suspicion of Violation IDF and Court Order", *Israel Hayom*, 24 February 2019.

[39] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 28 شباط/فبراير 2019.

[40] خبير إسرائيلي لشؤون القدس قال: "إن وضع فريق من الشرطة لحراسة منع الدخول إلى مجمع باب الرحمة عندما يكون آلاف المصلين الفلسطينيين محتشدين في الموقع يوم الجمعة من شأنه أن يؤدي إلى حمام دم يشمل رجال الشرطة، أو المصلين أو كليهما معاً. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس 19 آذار/مارس 2019. اثنان من كبار علماء الآثار في هيئة الآثار الإسرائيلية كتبا في العام 2001 أن الباب الذهبي يستخدم الآن كمدرسة". Avni & Seligman, p. 9. Gideon Avni and Jon Seligman, *The Temple Mount 1917-2001: Documentation, Research and Inspection of Antiquities*, Israel Antiquities Authority, 2001.

[41] طبقاً للتراث الإسلامي، فإن الإمام الغزالي (1058-1011)، وهو أحد العلماء والفلاسفة المسلمين البارزين،" أقام في الغرفة الموجودة على سطح باب الرحمة حيث كتب كتابه الشهير 'إحياء علوم الدين'". 'The Revival of Religious Sciences'". Al Aqsa Mosque Al-Haram Ash-Sharif, *Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs*, August 2013, p. 56.

[42] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع فلسطينيين مقدسيين، القدس، أواخر شباط/فبراير 2019.

[43] رئيس الاتحاد الوطني عضو الكنيست بيزاليل سموتريتش ورئيس اليمين الجديد عضو الكنيست نفتالي بينيت اغتنما الفرصة لإبعاد الناخبين المتدينين القوميين عن الليكود، وانتقدا سلوك نتنياهو بشأن أزمة باب الرحمة على أنه "استسلام خطير للعنف" و"جبن في مواجهة التهديدات". مقتبس على التوالي في Itay Gadasi, "Shameful Surrender: 'The State Will Grant the Waqf Responsibility for Repairing the Gate of Mercy", *93FM*, 6 March 2019؛ و "Bennett Attacks Netanyahu: 'Caught in Gantz Syndrome, Fears Terrorists'", *Maariv*, 4 March 2019.

[44] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد نشطاء الهيكل البارزين، القدس، 4 آذار/مارس 2019. المسجدان الرئيسيان في الحرم الشريف هما قبة الصخرة والأقصى، أو المسجد القبلي. إضافة إلى ذلك، خلال وجود نتنياهو رئيساً للوزراء للمرة الأولى في أواخر التسعينيات، حول الوقف نفقين تحت الحرم إلى مصليين: واحد تحت الأقصى، والآخر تحت المسجد المرواني، في الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم. الصهاينة المتدينون يتهمون نتنياهو بأنه تصرف بجبن في وجه الاحتجاجات الكبيرة للمسلمين بشأن الموقع. لمراجعة الموقع المحدد للمصليات، انظر الملحق 2.

[45] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 8 آذار/مارس 2019.

في ضوء هذه الضغوط، دَفَع نتنياهو للحصول على تنازلين فوريين من الوقف يتمثلان في إشراف هيئة الآثار الإسرائيلية على أشغال الوقف والإغلاق المؤقت لمبنى دار الرحمة قبل بداية هذه الأشغال.[46] رفض الأردن بغضب كلا المطلبين في محادثات جرت في 7 آذار/مارس بين رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي مئير بن شبات ووزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي. العديد من المسلمين سيفهمون مثل هذه التسوية مع إسرائيل بشأن الحرم الشريف فقط بوصفها قبولاً بالسيادة الإسرائيلية، لكنهم سيعتبرون أن الأردن أيضاً يساعد إسرائيل في إلحاق الهزيمة بالحشود الشعبية الفلسطينية.[47]

استمرت المفاوضات من فوق رؤوس الفلسطينيين عندما توجه وفد إسرائيلي رفيع المستوى إلى عمان نحو منتصف آذار/مارس. وافقت إسرائيل على ألا تغلق الموقع قبل الانتخابات الإسرائيلية، ففككت بذلك بعض الجوانب الملحة في الأزمة، لكنها أصرت على أنها بعد إكمال أعمال الإصلاح للبناء لن يكون المبنى أكثر من مكتب للوقف.[48] إلا أن قادة الوقف في القدس الشرقية يستمرون في المطالبة بأن يستخدم المبنى كمصلى ويقولون إنه يمكن إقامة الصلاة من وقت لآخر خلال أعمال الإصلاح.[49] يبدو أن الطرفين أجلا الأزمة بدلاً من تسويتها.

حتى لو نجحت إسرائيل والوقف في تسوية الأزمة المباشرة، يبقى هناك العديد من التحديات؛ إذ إن غياب التواصل السياسي بين كبار القادة الأردنيين والإسرائيليين يجعل من الصعوبة بمكان التوسط في التوترات التي تسود الحرم الشريف بسرعة وفعالية. علاوة على ذلك، ومنذ اعتراف الرئيس ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل، فإن عمان صدت عروض الولايات المتحدة لإصلاح العلاقة بين حليفيها.[50] بعد أسبوعين على بداية الأزمة، يرفض قادة الوقف عروض الوساطة والدعم التقني من قبل حكومات غربية أخرى، خشية أن يبعث ذلك بإشارة إلى تدويل موقع مقدس يعتقدون أنه ينبغي أن يظل إسلامياً حصراً.[51] لقد فاقم كبار رجال الدين اليهود والمسلمين الأزمة بغياب التواصل فيما بينهم. الصهاينة المتدينون الذين يحتشدون سياسياً حول الموقع والسلطات الإسلامية في القدس الشرقية التي تديره واقعة في حالة عميقة من الإنكار المتبادل. من منظور يتجاوز الأزمة الحالية، يمكن لنشطاء المجتمع المدني الإسرائيليين والفلسطينيين أن يسعوا لإقامة حوار بين السلطات الدينية من كلا الجانبين، مع احتمال التركيز على قواعد الوصول إلى الموقع المقدس.[52]

في هذه الأثناء، فإن عمان لا تتمتع بمساحة كبيرة للمناورة. لقد واجه ملك الأردن ضغوطاً محلية متنامية على خلفية أزمة باب الرحمة؛ حيث دعا البرلمان الأردني إلى طرد السفير الإسرائيلي في الأردن وسحب السفير الأردني من إسرائيل.[53] وفي مواجهة الانتقادات من الفلسطينيين، لم يعد بوسع عمان التفاوض من فوق رؤوس الفلسطينيين. رغم أن عمان وسعت ومكنت الوقف للحصول على الدعم الفلسطيني في القدس الشرقية، فإن الأردن يجد صعوبة في شرعنة أي حل تفاوضي مع إسرائيل بعد أن قضى المصلون الفلسطينيون أكثر من شهر يفرضون إرادتهم بشكل مباشر في تحدٍ للسلطات الإسرائيلية.

إن حلاً تفاوضياً سيتطلب من الوقف تأمين موافقة مختلف المعنيين، سواء من أعضاء المجلس أو من خارجه، خصوصاً الفصائل الفلسطينية في القدس والحركة الإسلامية في إسرائيل. إن دفاعه الوحيد ضد

---

46 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إسرائيلي، القدس، 7 آذار/مارس 2019. كانت إسرائيل تقليدياً تشرف على أعمال الوقف عن طريق موظفي هيئة الآثار الإسرائيلية التي يعمل موظفوها دون أن يراهم أحد، حيث يرتدون أحياناً بزات رجال الشرطة. يسعى المسؤولون الإسرائيليون بشكل خاص لتسوية مسألة الأعمدة الخشبية القديمة الموجودة في باحات باب الرحمة.

47 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أردني، 10 آذار/مارس 2019.

48 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إسرائيلي، القدس، 24 آذار/مارس 2019.

49 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 25 آذار/مارس 2019.

50 مسؤول أردني قال: "لم يعد بإمكاننا الاعتماد على الولايات المتحدة عندما يتعلق الأمر بالقدس، وبالتالي بالأقصى". مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، 6 آذار/مارس 2019.

51 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي غربي، القدس، 14 آذار/مارس 2019.

52 مسؤول في البيت اليهودي قال: "تنازلات [رئيس الوزراء] نتنياهو للمسلمين تنتهك القانون الديني. لا يمكن لذلك أن يتحقق في جبل الهيكل. لكن إذا دعم الحاخامات الصهاينة المتدينون البارزون قرارات نتنياهو، حتى [بيزاليل سموتريتش] عضو الكنيست من الصقور، لن ينتقدهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 5 آذار/مارس 2019. كما يمكن للعمل مع السلطات الدينية أن يخفف حدة التوترات من خلال فتح مسارات مغلقة حالياً نحو اتفاق على الوضع النهائي. لمراجعة التفاصيل، انظر إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 48. **كيفية المحافظة على الهدوء الهش في الحرم القدسي الشريف.** 7 نيسان/أبريل 2016.

53 "توصية من مجلس النواب الأردني بطرد سفير إسرائيل بسبب الأقصى"، **الشرق الأوسط**، 19 آذار/مارس 2019. النائب الأردني من أصول فلسطينية محمد هديب ذهب إلى حد التشكيك بموقف الوقف مدعياً: "الوصاية الهاشمية القدس تحتضر". انتفاضة نيابية ضد النائب محمد هديب، **صحيفة الأنباط**، 18 آذار/مارس 2019.

الاتهامات ببيع القضية لإسرائيل هي الإشارة إلى مطالبته الموثقة جيداً باستخدام المبنى كمعهد تعليمي إسلامي.[54] بدلاً من ذلك، يمكنه محاولة إقناع إسرائيل بأن ثمة اختلافاً ذي معنى بين مسجد بمواصفات كاملة، وهو ما تعهد نتنياهو ووزير الأمن الداخلي جلعاد أردان بمنعه، ومُصلى ليس فيه إمام ولا منبر تلقى منه خطبة.

إضافة إلى ذلك، يمكن للحكومة الإسرائيلية القادمة أن تتوسع في سياسة قمع عمليات السلطة الفلسطينية في القدس الشرقية لتشمل الاعتقالات أو أعمال أخرى ضد أعضاء الوقف المرتبطين بالسلطة الفلسطينية، أو حتى الوقف برمته.[55] يمكن للموقف الناشط الجديد الذي يتخذه المجلس، في تحدٍ للقيود التي تفرضها إسرائيل على أنشطة السلطة الفلسطينية في القدس من خلال واقع ضم مسؤول رفيع المستوى في السلطة الفلسطينية إلى عضوية المجلس أن يدفع إسرائيل، التي طبقت قوانينها على القدس الشرقية في انتهاك للقانون الدولي (ما يرقى إلى عملية ضم غير شرعية في نظر الجهات الفاعلة الدولية)، إلى فرض هذا القيد بشكل أكثر صرامة. عضو المجلس حاتم عبد القادر، على سبيل المثال، أعلن أن المجلس سيعمل في سائر أنحاء المدينة على الحد من بيع الأراضي لمنظمات المستوطنين اليهود في كل المدينة.[56] علاوة على ذلك، فإن ما يتوقع من نشر خطة ترامب للسلام، التي قد تقترح السيادة الإسرائيلية على الموقع المقدس حتى مع دعوتها للمحافظة على الوضع الراهن، يشكل حافزاً للطرفين ليعبرا عن اعتزامهما السيطرة على الموقع. يمكن أن يتم نشر الخطة في أي وقت بين الانتخابات الإسرائيلية (9 نيسان/أبريل) والأيام التالية لنهاية رمضان (4 حزيران/يونيو).

بالنظر إلى هشاشة الوضع في هذا الموقع الرمزي والاستراتيجي، فإن إيجاد تسوية دائمة بشأن بناء باب الرحمة ينبغي أن يكون أولوية لجميع الأطراف. بدلاً من النظر إلى مصير الموقع على أساس منطق صفري، ينبغي على القادة الإسرائيليين، والفلسطينيين والأردنيين أن يبحثوا عن مكسب يمكن أن يكون أكبر. إذا تمكنوا من تسوية النزاع عن طريق التوافق – ربما بجعل الوقف يستخدم البناء لأغراض تعليمية إسلامية أو كمصلى بدلاً من أن يكون مسجداً – فإن المجلس الجديد قد يواجه عقبات أقل من الحكومة الإسرائيلية، رغم إضافته لمسؤول بارز في السلطة الفلسطينية إلى عضويته.[57] إذا تمكن من التوصل إلى هذا الترتيب، سيكون المجلس قد عكس القيود الإسرائيلية المفروضة على الفلسطينيين. على النقيض من ذلك، فإن نصراً فلسطينياً حصرياً من شأنه أن يثير رد فعل إسرائيلي، ما سيعرض للخطر قدرة المجلس على تلبية الاحتياجات الفلسطينية في القدس وفي الحرم الشريف بشكل خاص. كما أنه سيدفع إلى رد من قبل الصهاينة المتدينين؛ حيث يمكن لعدد أكبر من الحاخامات أن يعكسوا حكمهم الذي يحظر الزيارات إلى الموقع، وقد يغير القادة السياسيون القوانين بحيث يسمحوا لليهود بالصلاة هناك.

طبقاً للوضع الراهن، يمكن للوقف أن يحدد وظيفة المبنى طالما لم يلحق الضرر بطبيعته الأثرية.[58] في حين أن إعادة فتحه كمعهد تعليمي يديره الوقف أو كمصلى قد تمنح للفلسطينيين في مجلس الوقف وللفلسطينيين في القدس الشرقية بشكل عام إنجازاً يسمح لنتنياهو بالادعاء بأنه لم يستسلم. يمكن لمثل هذه النتيجة أن تقلص مخاطر نشوء تصعيد كبير قد يكون مهلكاً، وقد يؤدي إلى فرض قيود على حرية وصول الفلسطينيين إلى الموقع.[59] يمكن لقيام الوقف بإصلاح وإعادة فتح المبنى أمام الدراسات الإسلامية أو كمصلى أن يشكل حصيلة عملية للجميع، حتى لو رفض كلا الطرفين مثل هذه التسوية الآن.[60]

---

54 انظر، على سبيل المثال، وصفي الكيلاني، "الانتهاكات الإسرائيلية للأماكن المقدسة والطبيعة التاريخية للمدينة القديمة في القدس"، الصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة، آب/أغسطس 2016.

55 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو كنيست من البيت اليهودي، القدس، 21 آذار/مارس 2019.

56 إذاعة أجيال، 23 شباط/فبراير 2019.

57 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في الوقف، القدس، 25 آذار/مارس 2019.

58 يعود انعدام ثقة إسرائيل بأعمال الصيانة التي يقوم بها الوقف إلى أواخر تسعينيات القرن العشرين، عندما سهل الوقف تحويل مساحتين كبيرتين تحت الحرم على حافته الجنوبية إلى مصليين (المرواني والأقصى القديم)، حيث أزال من الحرم خلال ثلاث ليالي متتابعة نحو 10,000 طن من التراب المليء بالقطع الأثرية الإسلامية واليهودية وتخلص منها دون دراسة. لمراجعة جميع تفاصيل، انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 155، **حالة الوضع الراهن للحرم القدسي الشريف**، 30 حزيران/يونيو 2015، ص. 8.

59 وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي قال: "إن فرض القانون أيام الجمعة أصعب بكثير بسبب كلفة مواجهة عشرات آلاف المصلين". خلال الفترة 2014-2016، طبقت الشرطة الإسرائيلية بشكل منتظم تصنيفات عمرية أو قيوداً على النوع الاجتماعي فيما يتعلق بالوصول إلى المجمع. وبالنظر إلى أن هذه الممارسة غذت تنامي العنف، فإن الشرطة امتنعت فعلياً عن تطبيقها، لكن أزمة طويلة يمكن أن تدفعها إلى اللجوء إليها مرة أخرى. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع خبير إسرائيلي بالمواقع المقدسة، القدس، 19 آذار/مارس 2019 للمزيد من التفاصيل حول القيود على

VI. الخلاصة

لقد شهدت الشهور الأولى من العام 2019 اندلاع مستويات متدنية من العنف حول معركة السيطرة على مبنى باب الرحمة داخل الحرم القدسي الشريف، والذي تطور إلى صراع قوى بين إسرائيل والأردن والوقف. منذ فتح الوقف المبنى في 19 شباط/فبراير 2019 بدأ المصلون الفلسطينيون باستخدامه كمصلى، وقد أصدرت إسرائيل أوامر تقييد ضد أكثر من عشرين من حراس الوقف واعتقلت تسعة عشر فلسطينياً، بمن فيهم قاصرين اعترفا برمي قنابل المولوتوف على مركز للشرطة.

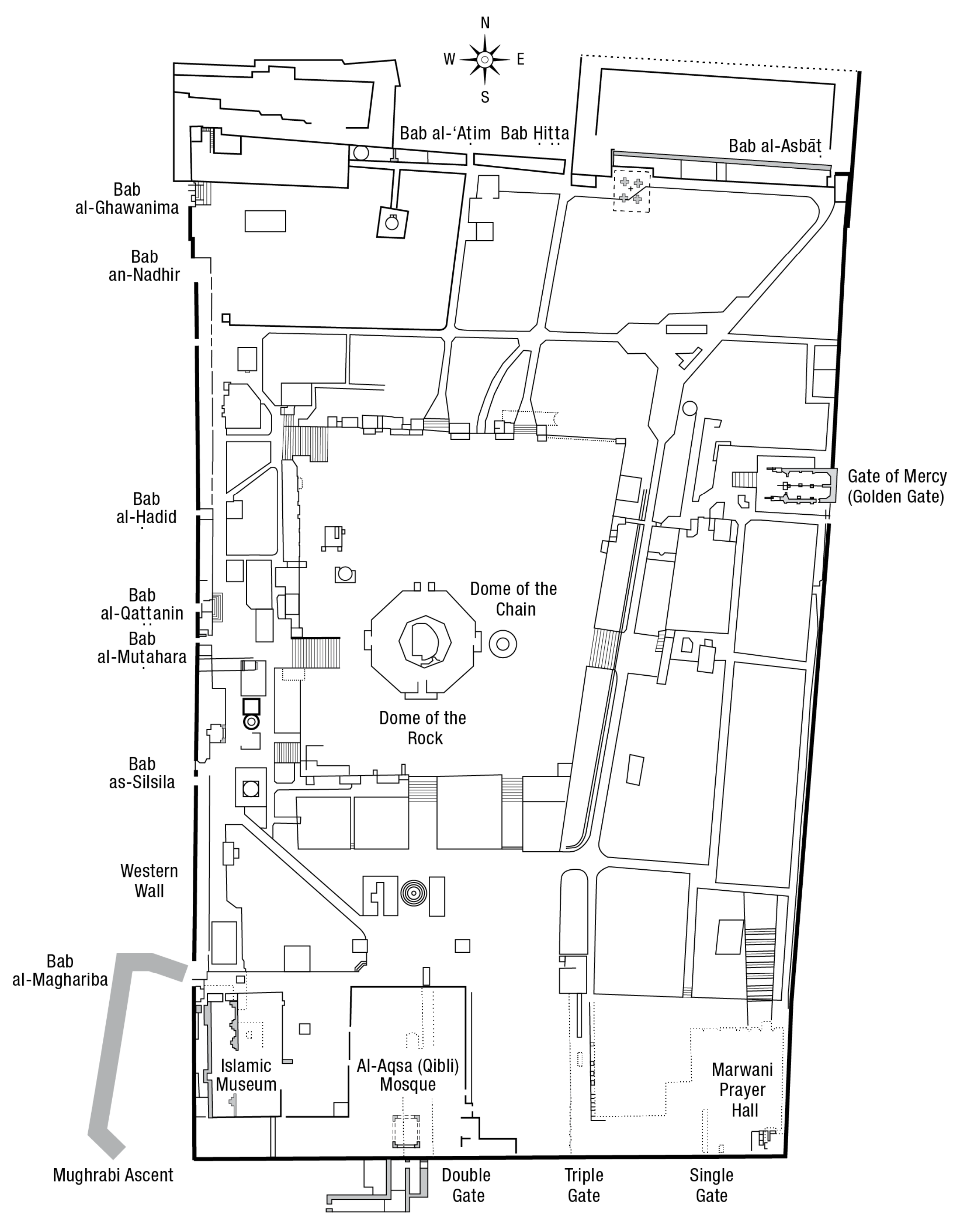
انخرط الأردن وإسرائيل في محادثات لتهدئة التوترات في الحرم، لكن مع عدم استعداد أي منهما للتنازل عن أي إجراء إضافي في مجال السيطرة على الموقع المقدس للطرف الآخر، وبإقصاء الوقف المقدسي، فقد توقف التقدم في ذلك المجال. وبمرور كل يوم تقريباً، هناك توترات جديدة تتعلق بمبنى باب الرحمة. إن العثور على حل عملي للأزمة الراهنة – ربما بتحويل مبنى باب الرحمة إلى معهد تعليمي إسلامي، كما اقترح الأردن، أو ربما كمصلى عادي يسمح بالصلاة، كما يطالب الفلسطينيون، لكن أقل من مسجد كامل، الأمر الذي ترفضه إسرائيل – سيكون في مصلحة جميع الأطراف. كما يوفر فرصة نادرة لتمكين مجلس الوقف، الذي يضم ومنذ شباط/فبراير شخصيات فلسطينية مستقلة بارزة من القدس الشرقية. ستكون إعادة فتح مبنى باب الرحمة لاستخدام المسلمين إنجازاً بارزاً للمجلس، الذي يمكنه أن يوجه جهوده من ثم إلى مساعدة الفلسطينيين والإسرائيليين على تخفيف حالة انعدام القانون وانتشار الجريمة في القدس الشرقية بشكل عام.

القدس، 3 نيسان/أبريل 2019

الوصول وآثارها، انظر إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 48، **كيفية المحافظة على الهدوء الهش في الحرم القدسي الشريف**، 7 نيسان/أبريل 2016.

[60] القادة الإسرائيليون وأعضاء مجلس الوقف الفلسطينيون يرفضون مثل هذه التسوية حالياً؛ إذ تصر إسرائيل على وجوب استخدام المبنى حصرياً لأغراض إدارية. مسؤول إسرائيلي قال: "قبل العام 2003، كان المبنى مكتباً. وما من سبب لأن يكون أكثر من ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 21 آذار/مارس 2019. مسؤول في الوقف قال: "إنه مصلى. ولا تستطيع إسرائيل تغيير ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 21 آذار/مارس 2019. الطرفان اعترفا بأن موقف كل منهما متشكل بفعل الرأي العام الإسرائيلي والفلسطيني المقدسي وقد يتغير طبقاً لذلك.

الملحق آ. خريطة الحرم القدسي الشريف



أعيد رسم الخريطة من قبل مجموعة الأزمات استناداً إلى خريطة في كتاب:
Gideon Avni and Jon Seligman, *The Temple Mount 1917-2001: Documentation, Research and Inspection of Antiquities*, 2001.
بالإذن من هيئة الآثار الإسرائيلية.

الملحق ب. أعضاء مجلس الوقف بتشكيلته الجديدة

1. الشيخ عبد العظيم سلهب، رئيس المجلس
2. عدنان الحسيني، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وزير شؤون القدس في السلطة الفلسطينية، المدير السابق للوقف (*)
3. الدكتور هاني عابدين، وزير الصحة السابق في السلطة الفلسطينية، والأستاذ في جامعة القدس
4. مازن سنقرط، رجل أعمال، عضو مجلس أمناء جامعة القدس، وزير الاقتصاد الوطني السابق في السلطة الفلسطينية وهو تكنوقراطي رشحته حماس
5. حاتم عبد القادر، أحد قادة فتح في القدس، ووزير شؤون القدس السابق في السلطة الفلسطينية (*)
6. الشيخ عزام الخطيب، مدير الوقف
7. الشيخ محمد حسين، مفتي القدس وفلسطين
8. الشيخ عكرمة صبري، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، ومفتي القدس وفلسطين السابق في السلطة الفلسطينية (*)
9. الشيخ واصف البكري، القائم بأعمال قاضي قضاة المحاكم الشرعية في القدس
10. الشيخ يوسف أبو سنينة، إمام المسجد الأقصى
11. الشيخ محمد مصطفى سرندح، القاضي في المحاكم الشرعية في القدس
12. الدكتور عماد فائق أبو كشك، رئيس جامعة الأقصى (الحقوق والسياسات العامة) (*)
13. محمد زكي نسيبة، رئيس مجلس أمناء جامعة القدس
14. الدكتور مهدي عبد الهادي، مدير الجمعية الأكاديمية الفلسطينية لدراسة الشؤون الدولية (*)
15. الدكتور مصطفى أبو صوي، الكرسي المكتمل لدراسة فكر الإمام الغزالي في المسجد الأقصى وفي جامعة القدس
16. المحامي فهد كامل الشويكي، محام
17. خليل أحمد العسلي، صحفي ومحلل (*)
18. علاء عمران سلهب (*)

(*) عضو جديد.



International Crisis Group
Headquarters
Avenue Louise 149, 1050 Brussels, Belgium
Tel: +32 2 502 90 38. Fax: +32 2 502 50 38
brussels@crisisgroup.org

New York Office
newyork@crisisgroup.org

Washington Office
washington@crisisgroup.org

London Office
london@crisisgroup.org

Regional Offices and Field Representation
Crisis Group also operates out of over 25 locations in Africa,
Asia, Europe, the Middle East and Latin America.

See www.crisisgroup

PREVENTING WAR. SHAPING PEACE.